مســـــاطر بغـــداد إلى أيـــــن؟

بغداد / صافي الياسري

المسطر هو مكان تجمع عمال مهنة ما تتم فيه صفقات العمل وهو اسلوب عمل قديم، حل بعد ان حلت نقابات المهن القديمة وفقدت مقراتها بسبب سياسات الحكومات المتعاقبة التي وجدت في هذه النقابات قوى سياسية يمكن ان تشكل قواعد معارضة لسياساتها، وكان ذلك حقيقياً، فقد كان عمال النقابات يفرضون أجورهم وطقوس عملهم ويرفضون احياناً دفع ضرائب يرون فيها اجحافاً بهم. وقد اختفى المسطر من الزمن بعمال البناء، الا انه تطور فشمل بقية المهن التي اتفقت على اللقاء فجراً في مكان محدد يعرفه العامل وطالب العمل، بل حتى النساء صارت لهن مساطر خاصة بهن، فهن يعملن في البيوت وحدائقها وفي الحقول والاعمال الزراعية بل حتى في البناء، وكانت نقابات العمال القديمة تعطي اعضاءها صفات قيادية أو درجات وظيفية محددة على وفق قياسات وطقوس خاصة فمن المتدرب الى الصانع الى الاسطة وقد توارث عمال المسطر هذه الدرجات ويمكن اعتبارهم على هذا النسق ورثة للنقابات القديمة التي يختلف عملها عن عمل النقابات الحالية التي تحولت الى نقابات إدارية لا تتدخل في طقوس ترفيه العامل أو الاسطة كما انها تفرق عن النقابات القديمة في فقدانها استقلاليتها امام السلطة برغم ان السلطة لا تفوت فرصة دون استغلالها للتدخل في تعيين الكادر القيادي لهذه السلطة برغم ان السلطة لا تفوت فرصة دون استغلالها للتدخل في تعيين الكادر القيادي لهذه النقابات التي كان دورها لا يزيد امام السلطة حضور المناسبات وتقديم الولاء الرسمي والرمزي، ولهذا فان المسطر يعد وريث تلك النقابات برغم انه لا يملك كادراً قيادياً لكنه يعترف بدرجات العمال والاسطوات ويحدد اجورهم.

وعمال المسطر في الغالب من المواطنين الذين يفتقرون الى ثقافة تعليمية أو شهادات ومع ذلك يمكن ان تعثر على العديد من الطلاب حتى الجامعيين من رواد المساطر.

وفي الثمانينيات تحول المسطر العراقي الى مسطر مصري فقد وفدت الى العراق عمالة مصرية كثيفة نتيجة التسهيلات التي قدمتها الحكومة العراقية للعمالة المصرية ومسائل التحويل المصرفي وما الى ذلك من تعامل فيه الكثير من التقدير والاحترام. اما العراقيون فقد شغلتهم الحرب مع ايران ومع انتهاء الحرب وغزو صدام دولة الكويت وفرض الحصار على العراق بدأت تجد في مساطر العمالة والحرفيين الآخرين أصحاب الشهادات من المهندسين والطلبة في الدراسات العليا وخريجي الجامعات الانسانية، بل صرت ترى الكثير من الموظفين من اصحاب المراكز الوظيفية المرموقة يسرق نفسه من وظيفته بحيلة ما أو باجازة لكي يقف في المسطر بانتظار من يتعامل معه نظراً لانحدار القوة الشرائية للراتب الشهري وارتفاع اجر العامل نسبياً فهي برغم انها لا تناسب قيمة العمل الذي يؤديه العامل الا انها تساوي راتب موظف لشهر كامل فقد كان اجر الطبيب على سبيل المثال لمدة شهر لا يزيد على ٤,٥٠٠ أربعة الاف وخمسمائة دينار وهي لا تساوي أكثر من دولارين الا قليلاً بينما كان اجر العامل دولاراً ونصف الدولار يومياً، اما مراكز تجمع عمال المساطر فتجد ان النساء يتجمعن في ساحة شارع المحيط في الكاظمية وهي نقطة محورية بالنسبة لأصحاب المزارع وحقول الدواجن حيث هي اقرب نقطة حضرية لأصحاب المزارع فالمنطقة وعلى شعاع مئات الكيلومترات وعشراتها من بغداد منطقة زراعية ويتكفل متعهد بنقل الاجرة ذهاباً واياباً الى نقطة التجمع (ساحة البوابة).

وتتبلور هذه التجمعات في المناطق التي تشكل عقد مواصلات أو مناطق مركزية، وهي مراكز تجمع يمكن وصفها الان بانها مكاتب عمل يديرها (الخلفات) أو الاسطوات وهم (نواب المقاولين) ان صح التعبير.

وهناك مساطر عديدة في بغداد اشهرها مسطر الباب الشرقي في المنطقة المقابلة لجدارية فائق حسن. ويسميه البعض مسطر الطيران ويتجمع على رصيفه حرفيو مختلف المهن واغلبهم يقدمون من المحافظات الجنوبية ويستوطنون تجمعات سكنية في منطقة البتاويين.ويعد هذا المسطر من اهم مساطر بغداد وقد نشأ في الستينيات تقريباً مع ازدياد الهجرة من الريف الى المدن.والمسطر الاخر الذي حل ثانياً بالاهمية هو مسطر الكاظمية في منطقة ساحة العروبة وهذه الساحة هي الاخرى عقدة مواصلات لعدة مناطق شعبية حول الكاظمية والى الباب الشرقي وباب المعظم والشعب ومدينة الصدر ثم هناك مسطر البياع ومسطر بغداد الجديدة ومسطر ساحة النهضة ومسطر ساحة ٥٥ في مدينة الصدر مسطر (الداخل) قبالة البنزينخانة ومساطر أخرى صغيرة هنا وهناك مثل مسطر الصليخ قبالة العيادة الشعبية.

العامل سيد محمد الموسوي ٤٠ سنة يقول قضيت من عمري خمسة عشر عاماً ولم اتعلم شيئاً لذا وجدت نفسي مباشرة اتجه الى المسطر عامل بناء أو هدم لا فرق المهم الاجر فنحن نمضي اياماً عديدة من دون عمل وما اخيب اليوم الذي تعود فيه من المسطر من دون عمل؟ ماذا تقول لعائلتك؟

سوادي مطشر مواليد ٧٨ متزوج وله طفلان يقول اليوم الذي لا اجد فيه عملاً لا اعود الى البيت اقترض القليل من اصدقائي وفي المساء احمل (علاكة المسواك) فانا لا اطيق ان ارى الحزن على وجه اطفالي.

سلمان كامل من مسطر الكاظمية يقول انتعشت الاعمال مدة حين بدأ اعمار المدارس والمستشفيات والدوائر ولكن هذه الايام تراجع العمل بسبب الوضع الامني.

بينما يقول هاشم جاسم من نفس المسطر: بالعكس انتعش بناء البيوت (الدبل فاليوم) وبيوت (الحواسم)- وهنا استوقفته لأسأله عن معنى بيوت الحواسم –فضحك واجاب قائلاً: أنها البيوت التي يبنيها المواطنون على ارض تملكها الدولة من دون علمها ومن دون موافقتها.

وان كان الجميع يبني هذه الايام من دون اجازات رسمية ولا موافقات ربيع مالك يقول: لم اترك عملاً لم امارسه، واخيراً وجدتني على رصيف ساحة الطيران، رحم الله ايام الانتخابات فقد عملت فيها (بودي كارد) بأجر شهري قدره ستة اوراق ليت ايام العراق كلها انتخابات ضحك الجميع ثم تراكضوا الى (بيك آب) توقف سائلاً عن بعض الاسماء التي تعامل معها سابقاً على ما يبدو.

اما سلام عادل فاجاب بضجر وبصوت عال يشبه الصراخ- يا شغل يابطيخ الحكومة يومية منع تجول منين نوكل عيالنا؟ من الشهر التاسع لليوم لم اعمل اكثر من اسبوعين وانا لباخ اعيل ١١ نفراً، أجري جيد لكن علاقتي بالخلفات لانها من دون (توريق) تجعلني بعيداً عن العمل في (الدبل فاليوم).

*** وما الحل ؟**

- هذا السؤال عمره الف سنة أو اكثر، اقول لك ما دامت هناك حكومات فاسدة فليس هناك حل.. والامل في الحكومة القادمة قل يارب تصير عدنا حكومة ديمقراطية صدك مثل اوروبا وساعتها لن تجد في بغداد مسطراً واحداً.

قاسم حميد من مسطر الصليخ سألته ببراءة لم لا تذهب الى مكاتب العمل؟ ضحك مني بمرارة وقال بربك كم أدفع لهم، وماذا يفعلون بي، هم يستخدمون الطباخين ولست طباخاً ويستخدمون الحدقجية ولست حدقجياً والسكرتيرات وعلماء الكومبيوتر لست واحداً من هؤلاء فلماذا اذهب الى مكاتب العمل سيطردونني من الباب.

*** ودوائر الدولة؟**

- تريد شهادات ولا املكها.

*** والحل؟**

- والله انت بطران.

الجولة في برد الصباح الباكر تحمل هم ارتعاشاتها إضافة الى لهفة العاملين الذين يتراكضون اليك بمجرد ان تقدم الى تجمعهم وحين يعرفون انك صحفي تعود بهم خيبتهم الى حيث كانوا واقفين ومعهم أدواتهم المتنوعة من كركات وفؤوس وما لا أدريه، واشد ما يثيرهم اليوم هو الحزام الناسف والسيارة المفخخة فقد صارت تستهدف عمال المساطر عمداً بتوال مريب وبالأمس القريب كان مطعم حبايبنا في مدينة الصدر حيث يتجمع عدد من العمال تفجيراً اخر، العمال يحاولون تغيير اماكن مساطرهم هرباً من الإرهاب، لكنه يلاحقهم حيثما ذهبوا قاطعاً أرزاقهم ومهدداً حيواتهم، فهل من حل ؟

المساطر ستبقى مادامت هناك حكومات فاسدة

الإرهابيون يلاحقون عمال المساطر

منع التجول يقطع الأرزاق

حدث و حديث

حيوية عراقية

مفيد الصافي

أتذكر ما حدث في أثناء زيارته إلى العراق أول مرة ، يومها قال ذلك الصحفي الياباني المشهور بعد مقابلته عراقيين بسطاء مروا من أمامه في سوق شعبي في بغداد " إنهم يتمتعون بملامح قوية " ، ربما لم افهم عبارته جيدا في ذلك الوقت!!. بعد سقوط النظام ، كنت كلما أقابل عراقيا فقد احد أفراد عائلته بيد الإرهاب، أتردد كثيرا- مع إن ذلك جزء من طبيعة عملي- ربما لأني اشعر باني أتطفل على أحزان الآخرين ومصائبهم. ولكن في كل مرة تثير انتباهي ، خصلة القوة والحيوية التي يتمتع بها العراقيون في تجاوز المصائب والأحزان. ودائما يقفز السؤال في ذهني.

من أين يأتي العراقي بكل هذه الإرادة والإصرار على الحياة ؟ رغم تنوع المصاعب ووحشية الإرهاب ألصدامي والتكفيري الذي يطول المواطنين في الشارع و البيت والجامع والمستشفى والمدرسة. ورغم انتظارهم الذي طال وهم يطالبون بتحسن الأمن والخدمات ورفع مستوى المعيشة. من أين يمتلك العراقيون كل هذه القوى السحرية في مقاومة الأحزان والتشبث بالحياة ؟ هل هم يمتلكون أكسير الحياة؟ أم إن الحروب والماسي التي مرت بهم جعلتهم اشد احتمالا وأقوى إرادة ،واصلب عودا؟، ا يكون السبب إنهم غير مخيرين في ذلك ، وليس أمامهم إلا المصابرة والتحمل؟ ربما من الصعب الإجابة على ذلك ولكني اقر ان هذه الحيوية كانت السلاح السري الذي واجه به العراقيون كل ما خطط لهم أعداؤهم. وألا بربكم أعطوني مثلا لشعب تحمل ما تحمله العراقيون.....

> أين يأتي العراقي بكل هذه الإرادة والإصرار على الحياة رغم تنوع المصاعب ووحشية الإرهاب ألصدامي والتكفيري الذي يطول المواطنين في الشارع و البيت والجامع والمستشفى والمدرسة؟

فلا أملك إلا أن أعجب بذلك الشاب الذي تكفل بأولاد أخيه الأكبر الذي خسره بعملية اغتيال، أو ذلك الأب الذي فقد ولديه الوحيدين في تفجيرات يوم الأربعاء الأسود في بغداد الجديدة، وكان (عملاقا) رغم الدموع التي كانت تختبيء في عينيه، أم انظر إلى الرجل الذي كان يرافق أولاده الخمسة في رحلة عذابهم النهائية بعد ان تلوثت دماؤهم بعقاقير استوردها النظام السابق..... صور وشخصيات كثيرة من الصعب ان ينساها المرء بسرعة .الكل يصر على المضي في الحياة مع إنهم لا يحصلون دائما على من يعينهم كثيرا في محنهم تلك. وربما ينساهم الآخرون.

اجل إن الإعجاب بقوة أرادة هؤلاء الذين مازالوا يعزفون لحن الحياة ويتطلعون إلى المستقبل لا تكفي، بل علينا أن نمد يد المساعدة لهم ونخفف من آلامهم، وهو أمر يجب أن يتشارك به الجميع.

الصابئة المندائيون في البصرة

احتفـــــالات تحت خيمة العـــــراق المـــــوحد

البصرة / عبد الحسين الغراوي

> تشكل طائفة الصابئة المندائيين نسيجاً اجتماعياً متجانساً في عاداتهم وتقاليدهم واحترامهم مناسك عباداتهم وطقوسهم الدينية.
> وفي يوم السبت ١٨/٣/ ٢٠٠٦ احتفلوا باحد هذه الطقوس التي لها وقع خاص في قلوبهم .
> السيد لؤي الخميسي المهتم بدراسة عادات وتقاليد الصابئة المندائيين وهو من الطائفة نفسها يلقي الضوء على هذه الطقوس .

التعميد

يقول الخميسي: ان الدين الصابئي هو دين توحيدي، يؤمن اتباعه باله واحد انبعث من ذاته وان الشيء المركزي في الدين هو التعميد في الماء الجاري وهو يقوم لديهم مقام الاعتراف وطلب الغفران لمواجهة الحياة مواجهة جديدة نقية وخالصة لوجه الله.

ويضيف الخميسي:

المندائيون هم الصابئة الاصليون الذين ورد ذكرهم في القران الكريم وان لفظة الصابئي مأخوذة من كلمة (صبا) الآرامية وتعني الارتماس بالماء والمعمودية وليس من كلمة (صبأ) العربية ومعناها خروج الفرد عن دين ابائه الى دين آخر.. كما ان هناك فئة يطلق عليها اسم (صابئة حران) وليس هم الصابئة المندائيين بل هم فئة تعظم الكواكب والنجوم. ومن هنا جاءت فكرة ان الصابئة المندائيون عبدة نجوم وكواكب وذلك للخلط بين الصابئة المندائيين والصابئة الحرانيين، خاصة انهم سكنوا منطقة واحدة هي مدينة حران.

اعياد الصابئة المندائيين

ويذكر السيد لؤي الخميسي أعيادهم بالنسبة للاعياد فان الصابئة المندائيين لهم أربعة اعياد على مدار السنة وهي (العيد الكبير) (عيد رأس السنة المندائية) و(دهفة ربة) ويتكون هذا العيد من مرحلتين وهما (عيد الكرصة) و (كنشي وزهلي) أي الاجتماع والتطهير والاجتماع يعني التفاف الاسرة- اما التطهير فهو تطهير الجسد والنفس وذلك من خلال التعميد –لذا اصبح فرضاً على كل مندائي التعميد في هذا اليوم لاستقبال الساعات المقبلة للكرصة بدرجة عالية من النقاء الروحي والجسدي –حيث تبدأ الكرصة من مغيب الشمس ليوم كتشي وزهلي أي (الكنس والتنظيف والتطهير) ولمدة ٣٦ ساعة..

٣٦ ساعة من التعبد الروحي

في هذا الطقس يتحصن المندائيون في بيوتهم ويقومون بخزن الماء والطعام حيث لايجوز خلال الطقس الديني هذا استخدام الماء الجاري اثناء (التكريص) أي خلال ٣٦ ساعة من التعبد الروحي.. والكرصة لدى الصابئة المندائيين حدث عظيم يمثل بداية تكوين العالم المادي بأمر الخالق العظيم وفيه تصعد المخلوقات النونانية (الناطري) والمكلفين بحراستنا الى الحي/دهورا/ (عالم النور) حيث رب الاكوان ليعبدوا ويسجدوا للخالق العظيم شاكرين خالقهم على تلبية دعائهم بتكوين هذا الكون المادي حيث يستمرون في هذا الطقس ٣٦ ساعة.

وخلال هذه الساعات تصبح الأرض وعالمنا المادي تحت سيطرة الأرواح الشريرة لذلك وجب على كل فرد مندائي التسلح بالايمان والصلوات والأدعية وحفظ النفس الى اقصى حد ممكن وفي هذه الايام لا يسمح بدخول الدارمن قبل أي شخص خلال فترة التكريص وعدم لمس الحيوانات والنباتات ومن عاداتهم في الكرصة إذا مات احدهم لا يدفن حتى انتهاء مدة الكرصة أي مرور اكثر من ٣٦ ساعة.

اما النهوض من سطح الماء فهو كتابة للعودة الى الحياة الجديدة المؤقتة الصادقة والموحدة ..

ويرى الخميسي:

ان حياة ثانية توجد بعد الموت.. لان الموت عند المندائيين هو الانتقال من العالم المادي الى العالم الروحي لان الجسد عندهم فان والنفس باقية وهي التي تحاسب عما فعلت في دنياها في الارض..